الرومانسية في الشعر العربي ومدارسها

د. طارق أحمد آهنغر
الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها،
جامعة كشمير، سرينغر

إن تعريف الرومانسية عمل مستحيل ولا يمكن وصفه نظرا إلى سعتها وتعقيدها، وبتعبير بول فاليري: "لا بُدَّ أن يكونَ المرءُ غيرَ مُتّزِنِ العقلِ إذا حاولَ تعريفَ الرّومانسيّة".

وليس معني ذلك أن تعريف الرومانسية يترك على قارئ يصفها حسب رغباتها، لا: بل معناه لا يمكن وصفها وتعريفها بكلمات واضحة كما يمكن تعريف العلوم العقلية، ومن حاول من الأدباء والنقاد أن يصفها بدقة ووضوح لم يفز فيه بشيء، غير أنه جاء بالغموض أو بما يشبه الغموض، لأن تعريف الرومانسية أو أي اتجاه أدبي عمل مستحيل ويفهمها القارئ بين السطور بخبرته وتجاربه ومطالعته الأدبية. ولكل أديب له رأي عن تعريف الرومانسية وكل أديب حر أن يتفق بهذا الرأي أو يختلف.

مفهوم الرومانسية ومدلولها

الرومانسية، الرومانتيكية أو الرومنطيقية، تشتق من المصطلح الفرنسي رومان (roman) والتي تعني رواية، وأول ظهور موثق لهذا المصطلح يرجع إلى جيمس بوزويل في منتصف القرن الثامن عشر، واستخدمه وهو يشير إلى جزيرة كورسيكا. ويشير هذا المصطلح إلى الأشياء والأماكن التي يعجز وصفها بالكلمات. وقد أطلق هذا المصطلح في العصور الوسطى على حكايات المغامرات شعرا أو نثرا.[١]

ويذهب البعض إلى أنها مشتقة من لفظة "رومانيوس" التي أطلقت على اللّغات والآداب المتفرّعة عن اللّغة اللاتينية القديمة، التي كانت تعدّ في القرون الوسطى لهجات للغة روما القديمة، وقد اختار الرومانسيون "الرومانسية" وهي إحدى لهجات

---

١. المعجم المفصل في الأدب، الجزء الثاني، ص ٤٩٨-٤٩٩، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٩

سويسرا عنوانا لمذهبهم وحركتهم، وتعبيرا عن معارضتهم لسيطرة الثقافة اليونانية والثقافة اللاتينية على لغتهم وآدابهم القومية. وعرفت "الرومانسية" بالابتداعية أو الإبداعية بسبب أنها تعد ابتداعاً في المذهب الكلاسيكي.

ومفهوم الرومانسية فيدّل على المغامرة وانطبع هذا على الأدب إذ أصبح الشاعر أو الأديب لا يكتفي بتصوير ما يراه بل يتعداه إلى عالم آخر يصنعه ويشكله بنفسه. فالرومانسية في لغة بسيطة هي اتجاه أدبي من الاتجاهات التي تتكلّم عن المغامرات الخياليّة والعواطف الكثيرة وليس للعقلِ سلطة عليها.

ظهورها في الآداب العالمية

لا شك في أن الأدب ظاهرة حضارية وفنية في آن واحد ولذا يتصل بالقديم والحديث، والظواهر الأدبية لذلك يعدي بعضها بعضا، ومن ثم فإن الأدب ليس مجرد متعة بيانية محضة، ولكنه عامل فعال في تطور الحياة وإثراء فكر القارئ ووجدانه على السواء. فقد جاءت الحركة الرومانسية في الأدب الأوربي تعبيرا عن مرحلة حضارية انتقل فيها المجتمع الأوربي من نمط من أنماط الحياة إلى نمط جديد.

وقد ظهر هذا المذهب في بلاد أوروبا من قبل أبرز الشّخصيات في فرنسا ومنهم كاتبان وفيلسوفان كبيران أثرا في الحياة العقلية والأدبية وهما: جان جاك روسو .j. Roseau(١٧٢٢ -١٧٧٨) وفولتير Voltere (١٦٤٩-١٧٧٨)[١]. ثم نشأ هذا المذهب في فرنسا في نهاية القرن الثامن عشر، واتسع مجال نفوذه الأدبي في بداية القرن التاسع عشر في سائر البلاد الأوربية. ومن أهم أسبا ب نشأته في فرنسا وهي الآتية:

١. ما أحدثته الثورة الفرنسية آنذاك من إسالة دماء، وتدمير وتخريب، مما جعل الأدباء يتشاءمون ويشكون في معايير مجتمعهم وأصوله ومقدساته.

٢. ما تأثرت الحياة بالثورة الصناعية الفرنسية فتحولت من الطراز الزراعية إلى الطراز الصناعية.

---

[١]. عبد الرحمن العشماوي، معالم النقد الأدبي، ص: ١٩٠، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨

٣. كما أن الثورة الفكرية والفلسفية قد زعزعت عرش "المثالية" التي تدعو إلى الثبات والاطراد، فاستحال التغيير الجذري هو القانون الثابت والدائم الذي ينبغي أن تقوم عليه الحياة البشرية.

٤. ثم إن الأدباء الرومانسيين اكتشف عليهم أن المذهب الكلاسيكي قد أهمل مجال العواطف كل الإهمال، فقد دعوا إلى تحرير النفس الإنسانية من قيود العقل وأحكامه المجحفة، ظنا منهم أن الأدب هو المعبّر عن حرية المشاعر والعواطف الصادقة.[١]

وفي أعقاب الانقلاب الصناعي وحروب نابليون قد شمل التحول كل مظاهر الحياة في السياسة والاجتماع والأخلاق والمدنية والأدب والفن، وانتقل الأدب من مرحلة عرفت "بالكلاسيكية الجديدة" إلى مرحلة عرفها الناس باسم " الرومانسية"[٢].

وتم استخدام مُصطلح الرّومانسية كأحد المُصطلحات الأدبيّة، وذلك في عام ألف وسبعمئة وستّة وسبعين. يُعتبرُ النّاقد الأماني فريدريش شليجل Friedrich Schlegel (١٧٧٢- ١٨٢٩م)، وهو كاتب وشاعر وناقد أدبي ألماني ويعتبر من أهم كتاب الأدب الرومانسي ومساهم في تطويره. وشارك فيه الأدباء الأوربيين البارزين و منهم : الشاعر الألماني وولفانج جوتهWalfand Goethe (١٧٤٤-١٨٣٢) وساهم فيه الشاعر الإنجليزي فيلئم بليك William Black (١٧٥٧-١٨٢٨) و فيلئم وردث ورث William Wordsworth (١٧٧٠-١٨٥٠) و كولرج Coleridge (١٧٧٢-١٨٣٨) و كيتس Keats (١٧٩٥-١٨٥٠)[٣]

---

١. عبد الحميد بوزينة: نظرية الأدب في ضوء الإسلام، عمان، دار البشر ١٩٩٠م. ص:٢١-٢٢

٢. د. إبراهيم عبد الرحمان محمد، مناهج نقد الشعر في الأدب العربي الحديث، الشركة المصرية العلمية للنشر لونجمان، مصر ١٩٩٧... ص: ٩٤

٣ Encyclopedia Americana: America International, P: 656, Corporation Lexington, New York, vol: 23

ميزات المذهب الرومانسي

١. الدعوة إلى إبعاد مقاييس العقل ومقولاته، إذ ليس مجالها هو الأدب، فإذا جاز للفلسفة أن تحلل القضايا والمشكلات الفكرية على ضوء قواعد مسبقة وأحكام عقلية محددة، فإن هذا لا يصح في مجال الأدب الذي هو مكلف بتتبع خلجات النفس والتعبير عن آمال الإنسان وآماله بطلاقة وحرية وهذا هو الفن الأصيل.

٢. فإذا كانت الكلاسيكية تنظر بنظرة ثنائية إلى علاقة الإنسان بالطبيعة، فإن الرومانسية عكس هذا تصهر الكيانين في بوتقة واحدة: فالطبيعة تتألم حين يتألم الشاعر، وتحزن حين يحزن، وترقص فيها أشعة الشمس حين يغمر نفس الشاعر فرحة كبيرة، فهو يعيش في أحضانها، ويمشي وسط رياضها وبساتينها الجميلة، ويستكشف وراء مناظرها المعاني الخفيفة والأسرار العجيبة، يقول خفاجي " فزع الأدباء والشعراء إلى نفوسهم ووجدانياتهم يلذون بتجاربهم الباطنة ويهتمون بمشاهد الجمال والطبيعة، ويميلون إلى الأصالة والابتكار والتجديد".[١]

٣. إن الأدب الجميل هو ذاك الذي يخدم الذات، ويجلى مشاعرها، ويعبر عن أحاسيسها المختلفة فهو، في هذا الشأن، بمثابة المحرار الذي يقيس درجات حرارة الجيم بدقة عجيبة.

٤. من خصائص الأدب الرومانسي أنه يثور دوما على تقاليد المجتمع وأعرافه السائدة وأوضاعه المألوفة، لأنها في نظره مصطنعة، والاصطناع هذا يجعل الحياة متكلفة معقدة، لا ذوق فيها ولا روح. يقول د. عقيق "تميز العقل والمنطق والحكمة كما تميز بالثورة على أوضاع المجتمع ومناصرة حرية الفكر، والنزوع إلى خوارق الطبيعة وأعاجيبها، والجنوح إلى حياة الفطرة كرفض للحياة الصناعية النامية المعقدة وضغوطها على الفرد.[٢]

---

[١] . دراسات في الأدب العربي ومدارسه، محمد عبد المنعم الخفاجي، الجزء الأول: ص: دار الجيل، بيروت، ص: ١٢٧

[٢] . في النقد الأدبي، ص: ٢٤٨

هذه أهم سمات ومميزات المذهب الرومانسي التي تشكل كيانه وتدل على معامله، وقد تضافرت جهود نقاد هذا المذهب وأدباءه من أجل إبرازه في عالم الوجود الأدبي والفني مدة طويلة.

الرومانسية في الشعر العربي

وكان الفكر الأوروبي قد بدأ يتغلغل في الشرق العربي منذ عصر الحملة الفرنسية، وانفتاح مصر على أوروبا، وكذلك بلاد الشام، وخاصة لبنان التي تدفق إليها مبشرين من أوربا وأمريكا، والاتصال الثقافي بأوروبا، وحركات اليقظة العربية في كل مكان، وتأثير جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده بتلاميذهما، وزيادة اهتمام العرب بالثقافة والأدب والتراث القديم، وانتشار الطباعة والصحافة ودور الكتب والمدارس والجامعات في بلادهم[١]. كان كل ذلك تمهيدا لقيام الأدب الحديث، ولكن نهضة الأدب العربي الحديث لم تظهر في رأيي إلا في آخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

فقد وجد المثقفون العرب في الآداب الأوربية ألوانا جديدة من الشعر والنثر تختلف كثيرا عن تراثهم القديم، كما وجدوا في مذاهبها الفنية ولاتجاهات الفكرية المختلفة، خاصة الرومانسية.[٢] وهذا التجاه الشعري مال إلى تجديد الصيغة الشعرية يمس مقوماتها اللغوية والتصويرية والموسيقية، ويخلق منها شعرا جديدا بالمعنى الدقيق لهذا لمصطلح.

والفكر الأساسي خلف ظهور الرومانسية في الأدب العربي هو وجوب إيجاب أدب جديد لمجتمع جديد، وليس للتقليد فيه مكان، ويرى الشعراء الرومانتيكيون أن الأدب ليس بمحاكاة بل هو أداة للخلق والإبداع والخيال المبتكر. وكان الشعر قبله في صورة رديئة في الأغراض والمعاني والأساليب، أما الأغراض فكانت ضيقة تافهة، وكانت المعاني متبذلة ساقطة، وأما الأساليب فكانت متكلفة مثقلة ومقيدة بأغلال البديع. فشعراء الرومانسية خالف مخالفة شديدة على من يدعو إلى التقليد الشعري في

---

[١] . دراسات في الأدب العربي ومدارسه، ص: ٣٩

[٢] . مناهج النقد الشعر ص ١٤٥

الأسلوب والموضوعات، وهم ويدعون إلى تجديد الشعر في المعاني وليس في الموضوعات فحسب، بل في الأساليب الشعرية واللغوية، ولذا نرى في أشعارهم تصوير عالم الجمال، والميلان الشديد إلى الطبيعية والهروب من قوة المجتمع وتعبير عن أشياء وفق ميولهم النفسية، كما نرى استعمال اللغة البسيطة الوجدانية.[١]

مدارس الرومانسية العربية

ومن أشهر هذه المدارس الرومانتيكية، وأشهر أعلامها خليل مطران وشعراء مدرسة الديوان وشعراء مدرسة أبولوا وفريق من شعراء المدرسة المجهرية[٢].

خليل مطران

كان خليل مطران -الذي يعتبر مدرسة بنفسه -رائد الشعر الرومانسي في الأدب العربي الذي فتح نافذة كبيرة في الشعر الرومانسي الجديد. ونجح مطران في جمع الثقافتين العربية والغربية وتعمق في كليهما، ودعا إلى الحرية الفنية تحترم شخصية الشاعر واستقلال الفن عن الصناعة والأناقة الزخرفية، ودعم وحدة القصيدة وأبرز كل شيء في هذا الوجود صغيرا أو كبيرا،[٣] ضئيلا أو جليلا، موضوعا شعريا خليقا بعناية الشعر. وكان من أهم ما اتجه إليه في تجديده أن يعبر تعبيرا مستقيما عن أحاسيسه غير متكلف لتشبيهات القدماء واستعاراتهم على نحو ما يصنع أحمد شوقي و من تبعه من الشعراء الكلاسيكيين الجدد، وبذلك أحل الشعور الدقيق محل الخيال، وأعطى لشعره فسحة واسعة من الابتكار والمعاني والأفكار.[٤] فقصائده حملت عناوين موضوعات رومانسية ونرى فيها أن الطبيعة تحتل مكانا ممتازا فتجلى هذه النزعة في قصيدته "المساء" وهي قصيدة مزيجة بالحزن والألم واليأس والتجارب

---

[١] . دكتور طاهر احمد مكي، الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقرأته الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، ص: ٤٨

[٢] . الأدب العربي المعاصر ومدارسه، لمنعم الخفاجي، ص: ٣٠٠

[٣] . دراسات في الأدب العربي ومدارسه، ص: ٤٧

[٤] . د. شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ط١، دار المعارف مصر، ص:١٢٥

النفسية والوجدانية كما يتضح في قصائده " الأسد الباقي" و"الجنين الشهيد" و"تشجيع الجنازة" وقصائده الأخرى مملوءة بنزعة الرومانسية.[1] كما نراه في قصيدته "المساء":

داءٌ أَلَـمَّ فَـخِـلْـتُ فِـيـهِ شَـــفَـائِي ... مِنْ صَـبْوَتِي فَتَضَـاعَفَتْ بُرَحَائِي

يَـا لَلضَّـعِيفَيْنِ اسْـتَبَدَّا بِي وَمَـا ... فِي الظُّلْمِ مِثْلُ تَحَكُّمِ الضُّـعَفَاءِ

قَلْـبٌ أَذَابَتْـهُ الصَّـبَابَـةُ وَالْجَوَى ... وَغِـلاَلَـةٌ رَثَّـتْ مِـنِ الأَدْوَاءِ

وَالـرُّوْحُ بـيْـنَهُـمَـا نَسِـيـمُ تَـنَهُّـدٍ ... فِي حَـالَيَ الـتَّصْـوِيـبِ وَالصُّـعَـدَاءِ

وَالعَقْـلُ كَالمِصْـبَـاحِ يَغْشَـى نُورَهُ ... كَـدَرِي وَيُضْـعِـفُـهُ نُضُـوبُ دِمَـائِـي

هَـذَا الَّـذِي أَبْـقَـيْـتِـهِ يَـا مُـنْـيَـتِي ... مِنْ أَضْـلُعِي وَحَشَـاشَـتِي وَذَكَـائِي[2]

مدرسة الديوان

إن هذه المدرسة التي أقامها عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني وعبد الرحمن الشكري لعبت دورا هاما في تطوير الرومانسية في الشعر العربي الحديث. وهؤلاء الشعراء قد درسوا الأدب الغربي دراسة عميقة وتأثروا بكتاب الغرب، وأرادوا أن يتبع الأدب العربي الأدب الغربي. ولقد حاول أصحاب الديوان تحديد مفهوم جديد للشعر هي المنطلق الذي انطلقوا منه إلى تحديد المفهومات الجديدة لعناصره الأخرى. فيذهب شكري إلى تعريف الشعر تعريفا وجدانيا في قوله:

"للشاعر أن يتعرض لما يهيج فيه العواطف والمعاني الشعرية، وأن يعيش عيشة شعرية موسيقية بقدر استطاعته وينبغي له أن يعود نفسه على البحث عن كل عاطفة من عواطف قلبه، وكل دافع من دوافع نفسه، لأن قلب الشاعر مرآة الكون فيه يبصر كل عاطفة جليلة شريفة فاضلة، أو قبيحة مرذولة وضيعة... ومن كان ضعيف العواطف أتى شعره ميتا لا حياة، فإن حياة الشعر في الإبانة عن حركات تلك

---

[1] حنيف موسى: محاضرات عن الخليل مطران، ص: ٢١٧، دار الفكر لبنان، ١٩٨٤.

[2] . خليل مطران: ديوانه، قاهرة، مصر

العواطف، وقوته مستخرجة من قوتها، وجلاله من جلاله، ومن كان سقيم الذوق أتى شعره كالجنين ناقص الخلقة"[1].

ولا يختلف مفهوم المازني لطبيعة الشعر وخصائصه عن مفهوم صاحبيه حين عمد إلى تأكيد دور العاطفة والخيال والمجاز في صناعة الشعر، وفي قوله:

"ما الشعر إلا معان لا يزال الإنسان ينشئها في نفسه، ويصرفها في فكره، ويناجي فيها قلبه، ويراجع بها عقله، والمعاني لها في كل ساعة تجديد، وفي كل لحظة تردد وتوليد، والكلام يفتح بعضه بعضا. وكلما اتسع الناس في الدنيا اتسعت المعاني كذلك."

والعقاد نظم في الجانب الوجداني التأملي، وقال في كتابه الديوان الذي أصدره هو والمازني: إن الشعر يقاس بمقاييس ثلاثة:

أولها: أن الشعر قيمة إنسانية، قبل أن يكون قيمة لفظية، فيحتفظ الشعر بقيمته إذا ترجم إلى لغة من اللغات.

وثانيا: أن الشعر تعبير عن نفس صاحبه، فالشاعر الذي لا يعبر عن نفسه وليس ذا شخصية أدبية.

وثالثا: أن القصيدة ذات بنية حية وليست أجزاء متناثرة بجمعها الوزن والقافية.[2]

وتعكس هذه النصوص القليلة أن شعراء الديوان دعوا إلى شعر الوجدان وأكدوا وحدة القصيدة، واحتفوا بالأخيلة والصور الجديدة والمعين الشعري، سواء استمده الشاعر من الصيغة الخارجية أو من ذات نفسه العاطفية أو الفكرية، فالشعر عندهم تعبير عن وجدان الشاعر. وساهم أعضاء هذه المدرسة في تطوير الرومانسية في الأدب العربي نظريا وعمليا، وتعبروا عن الذات والطبيعة وأدخلوا الأفكار الفلسفية، كما قال الشكري وهو تعبر منهج مدرسته عن الشعر:

---

[1] . مقدمة الديوان ج٤، ص ٢٨٨

[2] . د محمود شوكت، ود. رجاء عيد: مقومات الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، ص ٢٥٥

ألا يا طائر الفردوس إنما الشعر لوجدان[1]

والحق أن جماعة الديوان قد استفادوا بالثقافة الغربية وبذلوا قصارى جهودهم في انتقال التصورات الرومانسية الغربية وأسالبها في الشعر العربي في فازوا فيها إلى حد كبير.

مدرسة أبولو

وظهرت مدرسة أبولو في عام ١٩٣٢م على يدي أحمد زكي أبو شادي ومن أنصاره في هذه المدرسة إبراهيم ناجي ومصطفى السحرتي وإبراهيم ناجي ومختار الوكيل وصالح جودت وعبد العزيز عتيق وسواهم، وتعد المدرسة انصارا لمدرسة الديوان الرومانسية في الشعر[2] التي مر ذكره آنفا. وظهر تيار جديد يعزف ألحانا جديدة واتخذت اسم مدرسته من اليونان شعارا لها ورمزا.

وقد دعا أبو شادي إلى الإصالة والفطرة الشعرية، والعاطفة الصادقة، والى الوحدة التعبيرية، و إلى تناول الفكرة والمعاني والموضوع، ودعم وحدة القصيدة، ونظم من الشعر القصصي والتمثيلي وشعر الطبيعة، وإن كانت أخيلته وأساليبه قد طعمها بالكثير من الصور الغربية.

ويعتبر عام ١٩٣٢م بدء اكتمال مفهوم جماعة أبولو والتي يحدد ملامحها إبراهيم ناجي بقوله: "ولا جدال في أن مدرسة أبولو في اتصالها بالأدب العالمي ومتابعتها للتيارات الفكرية الجديدة وفي إيمانها برسالتها المجددة للشعر العربي، موسعة لأغراضه، محددة لوظيفته كعمل إنساني شامل، وكجماعة تضم شباب أدباء الشرق في ندوة واحدة. إن مدرسة أبولو قد استرحت الأنظار فهي تمثل طلاقة الفن، كما تمثل التجارب الفني بين أعضائها ومآل مثل هذه الحركة أن تنهض بالشعر العربي في غير حدود."[3]

---

[1] . عبد الرحمن الشكري: ديوانه: القاهرة، مصر

[2] . دراسات في الأدب العربي ومدارسه، ص: ٥٥

[3] . مقومات الشعر العربي المعاصر، د محمود شوكت، ود. رجاء عيد، دار الفكر العربي ص:٢٤٥

يتجلى عند شعراء هذه الجماعة تدفق العاطفة الجياشة والخيال إذ تأثروا أكثر الأثر بالمدرسة الرومانسية الغربية في الشعر. كما صرح د. شوقي ضيف قائلا: "ويحسن ان نقف فليلا عند ناجي وعلى محمود طه، إذ هما أكثر شعراء هذه الجماعة دويا في أقطارنا العربية. أما ناجي فارتبط ارتباطا شديدا بنفسه كما ارتبط بالمنزع الرومانسي الغربي الذي ارتبط به من قبله الجيل الجديد، فشعره وجداني يصور نفسه وانفعالاته، وهي نفس ظامئة دائما إلى الحب... وهو لذلك يصرح صرخات حادة هي صرخات الهزيمة، وهي هزيمة تلقاه في كل جانب: في الحب والصداقة والعلاقات الاجتماعية. "[1]

ومن أجل القصائد العاطفية لأحمد زكي أبي الشادي في الحب:

أمانا أيها الحب سلاما أيها الآسي
أتيت إليك مختفيا فرارا من أذى الناس
حنانك أيها الداعي فأنت مليك أنفاسي
فررت وحولي الدنيا تحارب كل إحساسي[2]

مدرسة المهجر

ظهرت هذه المدرسة من أيدي أدباء العرب الذين هاجروا من الشام وخاصة من اللبان إلى الأمريكا الشمالية والجنوبية في ما بين ١٨٧٠- ١٩٠٠م لعدة الأسباب ولكن إذا تجاوزنا عن إسبات هجرتهم فإننا نجدهم يساهمون في أعمالهم الأدبية في المهجر، حيث أقبلهم المثقفون العرب إقبالا رائعا بعذوبة أسلوبهم وجمال الصياغة في أدبهم. وصارت له مدرسة أدبيّة خاصّة تُدعى مدرسة المهجر في الأدب العربي، وكان الأشهر والأكثر استمرارًا فيها الرابطة القلميَّة والعصبة الأندلسيَة، ومن أعضاء الرابطة القلمية جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة، وقد تلونت ملامح هذا الأدب

---

[1] . د. شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ط: ١٠، دار المعارف مصر، ص:١٢٥

[2] . أحمد زكي أبو شادي: ديوانه" الألحان الضائعة"

المهجري بأصباغ الواقع النفسي الذي حملته وجدانهم، ما بين التوزع بين حرماتهم من أمومة الوطن، وبين جفاء الواقع الجديد الغريب عليهم، فتقدس لديهم الحنين والتشوق اللاهف، واندمج هذان الإحساسان في بوقعة مشاعرهم ليخرج لنا نتاجا فريدا من الأدب الذي يشكل بابا من أروع أدبنا العربي."[1]

وقد اتّسم شعر شعرائها بكثرة التأمّل في الحياة وفي أعماق النفس البشرية، وقد كان واضحًا في شعرِهم نزعتهم الإنسانيَّة وقيمهم التي غرستها في نفوسهم معاناتهم في الغربة، وأهمّها التعلّق بالوطن. وأما النزعة الرومانسية في مدرسة المهجر فتتجلى واضحة في جبران ونعيمة وإيليا أبو ماضي والريحاني وبعض شعراء المهجر، ممن أكدوا الدعوة إلى التجديد في شتى الأغراض الشعرية وعنوا بالموسيقى الشعرية عناية كبيرة. كما نراها في أشعار إيليا أبي ماضي:

ههنا أودعت أحلام الصبا
أفما تلمح نورا في ثراها؟
ههنا بالأمس في دراتها
كنت مثل النسر حرا في ذراها
أتلقي الوحي عن بلبلها
وهو ولهان يغني لرباها[2]

خاتمة

ويتضح بما سبق كيف قامت الثورة الرومانسية ضد الكلاسيكية الجديدة فحلت محلها في فرنسا ثم سافرت إلى مختلف بلاد أوربا، واكتسبت للأدب ميادين جديدة وكانت قبلها مغلقة ومحرمة. وكان محور الرومانسية الاهتمام بالفرد وتقدير حقوقه لبناء مجتمع مثالي يقوم على المساواة والحرية والإخاء. وقد أخذوا هذه الآمال

---

[1] . د محمود شوكت، ود. رجاء عيد: مقومات الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي ص:١٩٤

[2] . شرارة، عبد اللطيف: إيليا أبي ماضي، دار صادر بيروت، ١٩٦٥م، ص: ٤٦

الإنسانية غاية لتصوير عواطفهم الفردية ثم عبروها في تخليقهم الشعري. ودخل هذا الاتجاه الجديد في الأدب العربي وتطورت من أيدي أبرز أدباء العرب. وهم دعوا إلى تجديد الشعر في المعاني والابتكار في الأفكار وليس في الموضوعات فحسب، بل في الأساليب الشعرية والموسيقى، واللغة عندهم قريبة من لغة الحياة اليومية وتعدد الأساليب وتنويع القافية، ولذا نرى في أشعارهم تصوير عالم الجمال، والميلان الشديد إلى الطبيعية وهم الذين أقاموا المدارس المستقلة لهذا اتجاه مثل الديوان، وأبولو، والمهجر.

ويجدر بالذكر هنا أن الرومانسية الغربية كانت ذات رسالة تنطوي على " ثورة اجتماعية فنية" في مواجهة الكلاسيكية، وارتبط الدور الاجتماعي الآخذ بيد الفرد، والمبالغة في الإظهار الذات بالعواطف وأما الرومانسية العربية تحاكي الرومانسية الغربية، فاعتنت الرومانسية بالأمور الذاتية وتناولت اغتراب الإنسان العربي عن واقعه، وسيطرة جنسيات غربية عنه في وطنه، والتعبير عن العاطفة التي تحمل المفارقات الحزن والألم والاغتراب الفراق الهجر النجوى. وفي سنة ١٩١٩م قامت ثورة مصر بقيادة سعد زغلول، فارتبطت الرومانسية بالحس الوطني الذي يقاوم الاستعمار.

* * *